وَتَـــذْكُـــروا هَـــجْـــري الـــذي ذَابـــتْ لـــهُ حُـــشـــاشَـــتـــي[١]
وَتـــرْحَـــمُـــوا لـــي حَـــالـــةً قَـــدْ رَقَّ مـــنـــهـــا شَـــامِـــتـــي[٢]
وَيْـــلَاهُ مِـــنْ بَـــدْرِ دُجًـــى ضَـــلَّـــتْ بـــهِ هِـــدَايـــتـــي

وشعره غالبه على هذا الأسلوب. ومات في سنة ١١٤٦ ستٍّ وأربعين ومائة وألف.

(٣٦٨)

(الإمام المتوكّل على اللَّه القَاسِم بن الحُسَين بن أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القَاسِم بن مُحمَّد)[٣]

ولد سنة[٤]... ونشأ منشأ آبائه الأمثال، ومارس كثيراً من معارك القتال، وصار مع عمه الإمام المهدي صاحب المواهب من أعظم الرؤساء. وكان يبعثه في المهمات فيدفعها ويقوم بحلّها. وتارة كان يعتقله لما يرى من ميل الناس إليه وعُلوِّ همته وترشيحه للخلافة. واتفق في أيام اعتقاله أنه عرض للمهدي مُهمٌّ عظيم لا يقوم به إلَّا صاحب الترجمة، فأخرجه من الحبس وأرسله في طائفة من الجيوش. ثم ندم على ذلك وعرف أنه قد أخطأ فبعث إليه ليعود فما أسعد، ومضى لذلك المهم فقضاه، ثم بعد ذلك رغب الناس إليه وأرادوا أن يبايعوه فامتنع معتذراً بأنه لم يكن في العلم مستوفياً للاجتهاد محيطاً بما يحتاج إليه في الإصدار والإيراد، بل أمرهم بأن يبايعوا الحُسين بن القاسِم بن المؤيد صاحب شهارة، وكان من مشاهير العلماء، وبايعه صاحب الترجمة، وتلقّب بالمنصور باللَّه والحلّ والعقد بيد صاحب الترجمة، وليس لِلحُسَيْن إلّا الاسم. ثم شرع في مناجزة المهدي فقاد إليه الجيوش وحاصره في المواهب. وكان ابتداء ذلك في سنة (١١٢٦) ثم إن المهدي خلع نفسه، وبايع الحسين بن القاسِم بن المؤيد، وكان ذلك بعد محاصرة عظيمة وحروب شديدة. ثم كثر الاضطراب من الحُسين بن القَاسِم فخلعه صاحب الترجمة، ومال الناس إليه فبايعوه في سنة (١١٢٨) فامتنع المهدي عن ذلك متعللاً بأنه إنما خلع نفسه بشرط أن يكون الخليفة الحُسين بن القَاسِم لا صاحب الترجمة، فأعاد صاحب الترجمة الحصار له، وقاد إليه الجيوش فأذعن وبايع في سنة (١١٢٩). ولم يختلف بعد ذلك على

---

(١) الحشاشة: بقية الروح في المريض.
(٢) الشامت: الذي يسعدُ إذا أصابك مكروه.
(٣) ترجمته في: الأعلام: ٥/ ١٧٥.
(٤) لم يذكر المؤلف تاريخ ولادته، ولم نجده في ما توافر لدينا من مراجع.

المترجم له أحد من الناس، وصفت له اليمن وثبتت قدمه. وكان يستقرّ غالب الأيام بصنعاء، ويخرج في بعض الأوقات إلى حدة فيستقر فيها، وله بها دار عظيمة عمرها ومسجداً بجنبها. وقد صار الجميع حال تحرير هذه الأحرف خراباً. وكان له من الشجاعة ما لم يكن لغيره فإنها اتفقت منه قضايا تدلّ على أنه في قوة القلب وثبات الجنان بمحل يقصرُ عنه غالب نوع الإنسان. ولو لم يكن من ذلك إلَّا ما وقع منه من القتل لرئيس حاشد وبكيل المعروف بابن حبيش فإنَّه قتله في بيته وبين قبيلته، وليس معه من يقوم بحرب بعض البعض من أتباع ابن حبيش، ثم تم ذلك الأمر وسلّمه اللَّه. وصارت هذه القضية تضرب بها الأمثال ولا سيما في عصره وما يقرب من عصره لاستعظامهم لمقدار ابن حبيش ولكثرة أتباعه. ولصاحب الترجمة من المحبة للفقراء والإحسان إليهم وإنفاق بيوت الأموال عليهم ما لا يمكن القيام بوصفه، ومع هذا فله إلى آل الإمام من البر والبذل أمر عظيم، ولم يرعوا له ذلك بل خرجوا عليه، وفرّوا إلى بلاد القبلة، واجتمع منهم جمع كثير، ومن أعيانهم السيد العلّامة مُحمّد بن عبد اللَّه بن الحُسين ابن الإمام القاسِم بن مُحمَّد، والسيد مُحسن بن المؤيد وجماعة كثيرة. وكان سبب ذلك أن رجلاً يقال له الشّجني كان يلي بعض أعمال صاحب الترجمة، فوقع منه إلى جناب جماعة من أعيان السادة ما لم تجرِ لهم به عادة من التسوية بين أموالهم وأموال سائر الرعايا، ومع ذلك فما فازوا بشيء ولا نالوا خيراً. و(مات) السيد مُحمَّد بن عبد اللَّه في قرية يقال لها هاوم، وهو كان كبيرهم الذي يرشحونه للخلافة، فتفرقوا بعد ذلك، وكان جميع ذلك في سنة (١١٣٦). ولصاحب الترجمة من المحاسن والحروب والفتكات ما لا يتسع له إلَّا سيرة مستقلة. وقد جمع له سيرة السيد مُحسن بن حَسَن بن أحمد بن القاسِم بن مُحمَّد. وكان (موت) صاحب الترجمة في ثاني شهر رمضان سنة ١١٣٩ تسع وثلاثين ومائة وألف، وولي بعده ولده الإمام المنصور باللَّه الحُسين بن القاسِم حسبماً تقدم في ترجمته.

(٣٦٩)

(الفقيه قَاسِم بن سَعْد بن لُطف اللَّه الجبلي)

ولد تقريباً في سنة الثمانين من المائة الثانية عشرة أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، وقرأ في الآلات وفقه الشافعية، ورحل إلى زبيد فقرأ على مشايخها. وقرأ في علم الطب فصار طبيباً ماهراً. وقرأ عليَّ في أوائل الأمهات الستّ، وأوائل المسندات وما يلتحق بها. وقرأ عليَّ في شرح العمدة لابن دقيق العيد، وكانت قراءته عليَّ في مدينة ذي جبلة عند قدومي إليها مع مولانا الإمام المتوكّل على اللَّه، ولازمني ملازمةً تامةً، وهو فائق الذكاء جيد الفهم حسن الإدراك حسن المحاضرة، له في الأدب يد